المحاضر الثامنة نظرية المعرفة

الالهام والحدس

- **الإلهام :** لغة: التلقين.
- **قال الراغب في مفرداته:** (الْإِلْهَامُ: إلقاء الشيء في الرُّوع، ويختصّ ذلك بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملإ الأعلى. قال تعالى: فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها[الشمس/ ٨]).
- **وعرفه ابن سينا :** بأنه ما يلقيه العقل الفعال في نفس الإنسان المؤيدة بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية).
- **أما في عرف الصوفية:** هو النفث في الرُّوع ، والإيقاع

في القلب من العلم غير القائم على الاستدلال والنظر).

- وظهور هذا العلم لدى الإنسان يسمى : إشراقاً ، وكشفاً ، وذوقاً ويسمون الموطن الذي يقع فيه الإلهام ويظهر فيه الإشراق بالبصيرة ويعتبرونها إحدى مصادر المعرفة.
- **الحَدْسُ:** الظنُّ والتخمين. يقال: هو يَحْدسُ بالكسر، أي يقول شيئا برأيه وهو كذلك السرعة في السير.
- **اصطلاحاً:** في اصطلاح القدماء: سرعة الانتقال من معلوم إلى مجهول.

الحدس في الفلسفة المعاصرة

- **قال الجرجاني:** الحدس : هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب.
- **الحدس في الفلسفة المعاصرة:**
- **ديكارت:** عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة من الحقائق يفهمها بتمامها في زمان واحد.
- **شوبنهور:** معرفة حاصلة في الذهن دفعة واحدة من غير نظر واستدلال عقلي.

- ومن الفلاسفة المعاصرين الذين تبنوا الحدس مصدراً للمعرفة الفيلسوف الفرنسي: هنري برجسون والحدس عنده : عرفان شبيه بالغريزة عند الحيوان ينقلنا إلى باطن الشيء يطلعنا على ما فيه من طبيعة مفردة لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ.
- **الفرق بين الحدس والإلهام:**
- يرى ابن سينا أن الحدس ثمرة الإلهام (فالإلهام هو ما يلقيه العقل الفعال في الإنسان والحدس قبول هذا الإلهام.

- **والكشف الصوفي والحدس** متفقات تقريباً – عند الفلاسفة – في طبيعتهما ، التي تتمثل في المعرفة المباشرة دون استناد إلى التجربة والاستدلال ، لكنهما يختلفان بعد ذلك:
- **فالكشف:** يتعلق بملكة مغايرة للعقل أسمى منه ، تكون هي مهبط الإلهامات.
- **أما الحدس :** فإنه يتم بالعقل – عند بعضهم – بيد أنه يختلف عن المعرفة الاستدلالية بأنه معرفة مباشرة.

- **والكشف :** عند الصوفية – لا يتم إلا بعد رياضة روحية وتصفية ، يتم بها جِلاء البصيرة لتلقي الأنوار.
- **أما الحدس :** فلا يحتاج ذلك دائماً عند العقليين.
- هذا بالنسبة للحدس بمعناه العام في الفلسفة ، أما الحدس عند برجسون فإنه أقرب إلى الكشف الصوفي فقد جعله مباينا للعقل.
- ثم إنه جعل ميدانه الميتافيزيقا وهو مناط الكشف عند الصوفية

- **إلا أن الحدس عند برجسون :** معرفة منبعثة من داخل الإنسان لم تأته من خارج.
- **بينما يرى الصوفية:** أن الإلهام إفاضة الله من علمه الأزلي على العبد ، أو هو ارتقاء العبد وانكشاف الحجاب أمامه ليطلع على اللوح المحفوظ فيعرف فيه الحقائق.
- **الإلهام :** للصوفية في مصدرية المعرفة مصطلحات عديدة ضمن دائرة الإلهام مثل:

- **الإشراق:** هو «ظهورُ الأنوار العقلية ولمعانُها وفيضانها على الأنفس الكاملة عند التجرد عن المواد الجسمية.
- **والكشف:** هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا.
- **أما الذوق:** في معرفة الله: عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره.

- **أما البصيرة:** فهي مصدر المعرفة في الإنسان الصوفي ، وهي : (الملكة التي ترى حقائق الأشياء وبواطنها ، كما يرى البصر ظواهر الأشياء المادية ، وهي مورد الإلهام وموطن الإشراق ومصدر الكشف والذوق).

الالهام في الاسلام

- **الإلهام في الإسلام :**
- للإلهام المعترف به في الإسلام شرطان :
- **شرط في ذاته**
- **شرط في مدعيه**
- **أما الشرط المتعلق بمدعيه:**
- فهو الالتزام الصادق بالشرع الإسلامي عموماً في منهجه في الحياة وفي سلوكه ؛ لأن الإلهام دليل تولي الله للعبد والله لا

- يتولي إلا الصالحين. وقد أخطأ كثير من الصوفية حين جعلوا وسيلة الإشراق الفكري لديهم عدم الانشغال بالعبادات المشروعة ، حيث يجلس أحدهم خالياً ويكرر لفظ الجلالة إلى أن يكون الإشراق .
- وقد خالف الصوفية منهج الرسول ﷺ وصحابته عندما جعلوا الهدف المقصود هو المعرفة ؛ والذي حصل للرسول –ﷺ وصحابته من معرفة إنما كان منة من الله تعالى دون استشراف منهم أو جلسات انتظار

- وقد وعي هذه الحقيقة بعض الصوفية فحذر من الانقطاع لهذا الهدف والغفلة عن الهدف الأسمى المطلوب من الشخص ، يقول أبو علي الجوزجاني: (كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة فسبيل الصادق مطالبته النفس بالاستقامة ، فهي كل كرامة ، ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع ، ولا يبالي ، ولا ينقص بذلك ، وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة).
- وأما قول بعضهم : إن لهم في هذا الشأن أسوة حسنة

بالرسول

ﷺ حينما كان يتحنث في غار حراء –قبل البعثة– فقد تبين بطلان الاحتجاج به بحكم أنه مما كان قبل البعثة ولم يأتي ما يؤيده كما أن القول بهذا التطلع على استشراف العوالم الغيبية مما تبطله ظروف النبي ﷺ بدليل أن فزع حينما جاءه الوحي بل في هذا الإدعاء تصديقاً لمزاعم المستشرقين الذين يقولون : إن محمداً كان يتطلع أن يكون النبي الذي تبشر به الكتب المقدسة ؛ وأنه اتجه إلى الغار راجياً نزول الوحي وأنه من فرط استغراقه صار يخيل إليه

أن يوحي إليه . وهكذا يكون المنهج والغاية خارجاً عن حدود الشرع الإسلامي.

- **وأما الشرط المتعلق بالإلهام ذاته:** فأن يكون خاضعاً لقواعد الشريعة ونصوصها وذلك بأن يعرض عليها ويوزن بمعيارها فإن كان مأموراً به أو مباحاً قُبل وإلا رُد.
- وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ وهو محدث هذه الأمة يعرض ما يقع له على ما جاء به رسول الله ﷺ

- **قال ابن تيمية** –رحمه الله–:(وهذا الذي ذكرته من أن أولياء الله يجب عليهم الاعتصام بالكتاب والسنة وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء الله عز وجل... **يقول الشيخ أبي سليمان الداراني** : انه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة).
- وقد ضلت طوائف من الصوفية رأوا أن الولي إذا كُوشف تجاوز مرتبة المطالبة بالالتزام بالشريعة لاستغنائه عنها

بمكاشفاته كما روي عن بعضهم :(من أراد التحقيق فليترك الشرع والعقل).

- كذلك ينبغي أن يكون في حدود مفهوم الإلهام الذي هو إفاضة الله شيئاً من علمه على عبده بأي طريق من الطرق المذكورة هذا هو الإلهام الذي يتمثل في ذروته وحي الأنبياء
- أما أن يُتجاوز به حدود ذلك ليصبح مشاركاً لله في علمه الأزلي نتيجة الاتحاد أو انطباع ما في اللوح في قلب العارف ؛ فهذا ما لا يقره الدين فهذا رسول الله ﷺ

يقول عن نفسه :﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ (٥٠)﴾ الأنعام. فإذا نُفي علم الغيب عن رسول الله فمن باب أولى عن غيره .

- وقال سبحانه :﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ (٥٩)﴾ الأنعام. وفي الآية ما يدفع أباطيل مدعي الغيب كما يقول الإمام الشوكاني.
- وجاء في قصة نبي الله موسى –عليه السلام– مع الخضر الذي

يجعل الصوفية منزلته في العلم الغاية التي يسعون إليها أنه قال لموسى –عليه السلام–:(ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر).

- فالإلهام الحقيقي لا يناقض تعاليم الشريعة الإسلامية وهو فيض من علم الله تعالى وليس تسامياً للملهم بروحه نحو الذات العلية لتستوي مع البارئ وتشاركه في علمه تعالى الله عن ذلك.

مصدر الالهام

- **مصدر الإلهام:** ليس بالمستطاع التيقن بأن مصدر هذا الكشف والإلهام هو الله ؛ ذلك أن الإلهام بحسب مصدره ثلاثة أنواع:
- أ– إلهام من الله –سبحانه– للعبد.
- ب– إلهام من الجن والشياطين.
- ج– إلهام ذاتي ينبع من النفس ويعود إليها فيتوهمه من الخارج وليس كذلك ويحصل ذلك بالرياضة وتصفية النفس عن الشواغل فعندما تتجرد هذه النفس يتمثل فيها حديثها السابق معاني مجردة تستولي على حواس الجسد محاكية بذلك نفس

النائم ؛ حينما يرى الرؤية التي هي حديث النفس.

- وإذا كان مصادر الإلهام متعددة كما ذكرنا فهذا يجعل الذي الذي حصل له الإلهام لا يتيقن المصدر ؛ لأن الشيطان قد يقذف في النفس وحيه وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ لِغَيْلَانَ بْنِ سَلَمَةَ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ لَمَّا طَلَّقَ نِسَاءَهُ، وَقَسَّمَ مَالَهُ بَيْنَ بَنِيهِ: إِنِّي لَأَظُنُّ الشَّيْطَانَ فِيمَا يَسْتَرِقُّ مِنَ السَّمْعِ سَمِعَ بِمَوْتِكَ، فَقَذَفَهُ فِي نَفْسِكَ).
- **ودليل ذلك من الواقع**: التناقضات التي يخبر بها أولئك عما

ألهموا به أو كُشف لهم وكلهم يدعي أنه من الله.

- بل إنهم يعترفون بأن الكشف تابع للفكرة التي تكون مستولية عليهم حال التصفية وإن كانت مخالفة للشريعة كما حدث للشيخ السرهندي وشيخه عبد الباقي الدهلوي الذين استولت عليهما فكرة وحدة الوجود ولكن التوفيق أدركهما فرجعا عنها.
- ولهذا فإن طبيعة المعرفة الإلهامية لا يمكن أن ترتقي إلى مرتبة اليقين في تحديد مصدرها ؛ وبناء على انتفاء اليقينية في

مصدره

ينتفي بلوغه مرتبة العلم اليقيني بدون القرائن الرافعة له كما إذا تأيد بالنص الشرعي ؛ ومن ثم فغاية ما يفيده هو الظن إذا صدر من مسلم مشهود له بالصلاح .

- ولهذا كان الموقف السليم للعلماء في اعتباره أو عدمه في مجال الأحكام وسطاً بين من اعتبره حجة بمنزلة الوحي المسموع من رسول الله ﷺ ومن اعتبره خيالاً كما بين ذلك ابن تيمية .

- وخلاصة ما سبق:
- أن الإسلام أقر الإلهام مصدراً للمعرفة بخصائصه السابقة مع الاحتمال الوارد عليه .
- وأن منهج المعرفة الذوقية الكشفية التي وضع الصوفية قواعده ليس هو التحديث والإلهام الذي أقرته الشريعة.وأن الأقرب فيها أن تكون نمطاً من أنماط المعرفة الإشراقية .
- فقد شرح الكندي منهج المعرفة الصوفية في شرحه رسالة (القول في النفس) – لأرسطو وأفلاطون– وقد أيد آراء

- أفلاطون وفيثاغورس فيما قرراه من أن النفس إذا صقلت بالرياضة وتطهرت من التعلق بالمحسوسات استطاعت معرفة حقائق الاشياء.
- وكان الحكيم الإشراقي شهاب الدين السهروردي (ت٥٨٧هـ) يصف نفسه بأنه المشائي الصوفي ، يقول الشهروزي :(إنه كان جامعاً بين الفلسفة الذوقية الإشراقية ، والفلسفة البحثية المشائية).

حكم الاسلام في منهج المعرفة الالهامية

- **حكم الإسلام في منهج المعرفة الإلهامية:**
- بعد أن عرفنا حكمه في الإلهام لابد من معرفة حكم الإسلام في هذا المنهج في المعرفة ، وحكم الإسلام هنا يتناول:
- **١ – مقدماتها (المعرفة الإشراقية).**
- **٢ – ويتناولها بذاتها (الكشف).**
- فأما المقدمات :
- ١ – **فإذا كانت مشروعة** ومباحة كالتعفف والورع والذكر

وتدبر القرآن فهي مطلوبة وحري بمن التزامها أن يفتح الله عليه من مثل أن يُكاشف بما يبشره بخير.

- **٢ – وإذا كانت المقدمات – كالعزلة** والخلوة والتخفف من الأكل والشرب– ما لا يترتب منه تفريط في مطلوب الدين ، ولا ارتكاب لمنهي عنه فإنها تكون مباحة في ذاتها وقد تؤدي إلى شيء من الكشف الذي يتمثل من خلال هواجس النفس ومدركاتها العقلية قبل الاستغراق حيث تتحول إلى معان تتشكل للقوة السامعة بشكل الأصوات المسموعة وللباصرة

بشكل الأشخاص المرئية فيرى صورها ويسمع الخطاب وكله حديث نفس ليس في الخارج منه شيء).

- **٣– وإذا كانت المقدمات من الأمور المحرمة** في الشرع –مما ابتدع في الدين من عبادات وأذكار وتجويع للنفس وتعذيب للبدن واستنكاف عن تدبر القرآن ونحوه– فهذه مردودة في الدين ولا يمكن أن تكون هذه سبباً لحصول إلهام من الله يكرم به هذا العاصي أو مؤدية إلى كشف مما يتفضل الله به على عباده المؤمنين.

- **وأما الكشف ذاته:** فإنه يعرض على الشريعة فيُرد ما مخالفاً لها ويُقبل ما كان متفقاً معها ، وإن لم يكن فيه ما يخالف الشريعة ولا ما يتأيد به منها : جاز اعتباره والعمل بموجبه كمن كُوشف مثلاً بأن هذا الماء نجس فيجوز له التحول إلى ماء آخر.
- وبناء عليه فلا اطراد بين المقدمات ونتائجها ، فلا يكون الكشف الحاصل لمستقيم المقدمات مسلماً بناء على سلامة هذه المقدمات بل لابد من عرضه على هو على الشريعة. وقد حصل

من هذا حوادث لبعض الصالحين فردوها منهم : أبو ميسرة المالكي وعبد القادر الكيلاني.

- أما قول الشاطبي –رحمه الله– : (إن ما ظهر من الخارقة من استقامة أو اعوجاج فمنسوب إلى الرياضة المتقدمة ، والنتائج تتبع المقدمات بلا شك) ، منتهياً من ذلك إلى أن الخوارق إذا وردت على صاحبها فلا حكم فيها للشرع وإن فُرض أنها غير موافقة له ؛ فإنه يقصد الحكم المتعلق بفعل المكلف جوازاً أو حرمة ونحوها مما يترتب عليه العقاب في جانب الحرمة مثلاً

وهذا حق فالعبد لا يؤاخذ بما لا اختيار له فيه وإنما يتعلق الحكم بالمقدمات التي له اختيار فيها إ فإذا التزم الشريعة وورد عليه أو كشف له ما فيه مخالفة للشريعة مما لا يستطيع له دفعاً فلا حرج عليه في ذلك. يؤيد هذا: أن الشاطبي قال في المسألة نفسها :(مخالفة الخوارق للشريعة دليل على بطلانها في نفسها).

- **مسائل ذات صلة بموضوع الإلهام:** هنالك ثلاث مسائل ذات صلة بالموضوع :

- **الأولى:** أن البصيرة التي هي مصدر المعرفة الإشراقية لدى الإشراقيين لا تعدو أن تكون ملكة كسائر ملكات الإنسان الأخرى محدودة القدرة والمدى ، ثم أن هذه القوة لا يمكن أن تتجرد من التأثيرات الخارجية كما اعترف بذلك كبراؤهم ومفعول الحواس كلياً إذ لابد أن تتأثر مشاهداته برواسب ثقافته السابقة.
- وكان الإشراقيون الإغريق والمصريون يرون في كشفهم ومشاهداتهم تأييداً لكثير من الأوهام المصرية واليونانية

وأخيلتهم كما كان كثير من الإشراقيين المسلمين تتراءى لهم المفروضات التي افترضها فلاسفة اليونان حقائق ثابتة وموجودات مسلمة .

- ثم إن المعرفة المستفادة منها محصورة في الشخص المكاشف لا تتجاوزه إلى غيره وهذه خاصية من خواصها وهي من أكبر أسباب الاختلاف في صحة الكشف وما يخبر به المكاشفون.
- **الثانية :** أن الرؤية تتفق مع الكشف في الطبيعة ، قال ابن القيم:(وَالرُّؤْيَا كَالْكَشْفِ، مِنْهَا رَحِمَانِيٌّ، وَمِنْهَا نَفْسَانِيٌّ، وَمِنْهَا شَيْطَانِيٌّ) وقد بيّن رسول اللهﷺ فيما يتعلق بالرؤيا مصدر المعرفة المنامية فقد روى الشيخان وغيرهما أن النَّبِيُّ ﷺ قال: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: رُؤْيَا مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِي الْيَقَظَةِ، فَيَرَاهُ فِي الْمَنَامِ».فالرؤيا بناء على هذا الحديث ثلاثة أنواع ، وهي أوسع مساحة بالنسبة للحاصلين عليها من الكشف ، وينبغي أن تكون كالكشف خاضعة للشريعة ، وأن يجري عليها ما يجري على الكشف.

الهام الانبياء ورؤياهم

- **الثالثة : إلهام الأنبياء ورؤياهم:** ما سبق من الكلام المتعلق بالإلهام والرؤيا ، إنما هو لغير الأنبياء ، أما أنبياء الله — صلوات الله وسلامه عليهم— فإن إلهامهم ورؤياهم وحي معصوم متيقن أن مصدره الله تعالى .
- قال ابن عباس ﷺ :(رؤيا الأنبياء وحي).
- ولهذا أقدم نبي الله إبراهيم —عليه السلام— على ذبح ابنه إسماعيل بناء على الرؤيا التي رآها كما جاء في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠) ﴾ الصافات.
- فاستجابة الخليل —عليه السلام— لهذه الرؤيا وحكمه بمقتضاها إنما لقطعه بأنها وحي من إلهي.

اسئلة الوحدة

- ١ – عرف الإلهام في اللغة والاصطلاح .
- ٢ – للإلهام المعترف به في الإسلام شرطان . اذكرهما .
- ٣– ما الفرق بين رؤيا الأنبياء ورؤيا غيرهم ؟ .